الأبعاد الحجاجية في الشعر
"نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر"

أ. مكناسي صفيّة
جامعة ابن خلدون – تيارت

تمهيد:

قبل أن نغوص في سبر أغوار البعد الحجاجي للشّعر [1]، نسلط الضوء في البداية على قضية كانت ولازالت محل جدل بين النقاد واللّغويين، وهي هل بإمكاننا القول أنّ الشّعر يحمل طابع الحجاج وهل بإمكان الشّعر أن ينضوي على مقومات حجاجية باعتباره يتكئ على التّجربة الذاتية، ويعتمد على التخييل، بيد أنّ الحجاج يرتكز على العقل، ويراهن على الواقع المرئي قصد تحقيق الإقناع .نورد في هذا المقام أراءً متضاربة حول القضية.

الرأي الأول يرفض أن يكون في الشّعر طابعاً حجاجيا، وقد تبنى هذا الرأي فيلسوف العلوم الأمريكية تولمن S.toulmin صاحب كتاب "استعمال الحجج" ويمكن تلخيص موقفه في المعادلة الآتية: الشعر ≠ الحجاج

يعلل رأيه هذا بكون الحجاج يتأسس على الابتدال la banalité فليس في رأيه هناك حجاج فردي أو ذاتي، في حين أنّ الشّعر يقوم على الرؤية الذاتية والرؤيا الخيالية والتّجربة الفردية، أمّا الحجاج فإنّه يقوم على المعرفة المبتذلة الشائعة [2]، وحسب هذا الرأي فإنّه استحالة ورود الطابع الحجاجي في الشّعر أو ظهور سمة الشّعرية في الحجاج، وذلك احتكاما للمعرفة المبتذلة والشائعة الّتي

يقوم عليها الحجاج، والنزعة الذاتية والتجربة الفردية الّتي ينبني عليها الشّعر، وبالتالي حسب هذا الرأي دائما فإنّ الشعر يختلف كل الاختلاف عن الحجاج.

أما الرأي الثاني فإنّه يخالف سالفه إذا ما عدنا إلى فلاسفتنا العرب والنقاد الذين ارتكزوا على الفلسفة في بناء فكرهم النقدي، أمثال حازم القرطاجي (684هـ)، حيث نجدهم أكثر اعتدالا في التعامل مع هذه القضية "فالبرغم من أنهم يؤمنون بأن الإقناع والتخييل ما يميز الخطابة من الشعر" [3] إلاّ أنّهم رأوا إمكانية حدوث التداخل والتفاعل بين هذه الوظائف حيث الخطابة قد تستعمل التخييل والشّعر قد يعتمد الإقناع، فالقرطاجني يرى أنّه لما كان لهذين النمطين هدف واحد "وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النّفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه" [4]، جاز توسل بعضهما بوظيفة الأخر لإحداث الغاية المبتغاة عند المتلقّي بكلّ الطرق والحيل اللّغوية وغير اللّغوية*. ومن ثمّة فقد اشتركا – الخطابة والشّعر- في وظيفتي الإقناع والتخييل.

إنّ هذه القناعة أودت بالقول إلى أنّ أي نص أدبي شعري كان أو خطابي ينضوي إلى جانب الوظيفة المهيمنة على وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية الّتي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء، أو بأسماء الأفعال والروابط التّداولية الحجاجية، حيث إنّ النّصّ الشّعري ليس لعباً بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية ذاتية فحسب، إنّه يهدف إلى الحثّ والتحريض والإقناع والحجاج، وهو يسعى أيضا إلى تغير الوضعيات والسلوك والمواقف [5].

قد نجد ما يعضد هذا الطرح المعتدل إذا ما تمعنا في التمييز بين أنماط الحجاج الطبيعي، حيث ينشطر إلى نوعين: الأول يتجسد في كونه تقنيات بلاغية ومنطقية وأصولية وكلامية تنتمي إلى البلاغة القديمة والحديثة والمنطق وفلسفة العلوم وغيرها، أمّا النوع الثاني فيتجسد في تلك الآليات اللّغوية المحضة، وهو ما

يشكل موضوع نظرية الحجاج في اللّغة، وبالتالي الحجاج ظاهرة لغوية موجودة في كلّ قول وفي كلّ خطاب، سواء أكان الخطاب فلسفيا أو أدبيا أو دينياً.

الحجاج بهذا المنظور الأخير- وهو المقصود بالتحليل- نجده في الأسماء والأفعال والصفات والظروف والحروف، كما نجده أيضا في التراكيب النحوية والصور البلاغية [6].

من هنا فإنّه لا يستبعد وجود الحجاج كظاهرة لغوية في النّصّ الشّعري، ومن ناحية مغايرة يكون الشّعر حجاجياً إذا انضوى على التّواصل والتّفاعل، وتحدّدت فيه المقاصد والمقامات التّداولية وصدق المعاناة، حيث "كلما كان الشّاعر صادقاً في معاناته ساعيا إلى تبليغ خطاب ما، راميا إلى التخاطب والتّواصل مع الآخرين، له غاية واضحة وهدف محدّد يرمي إليه، كلما كان شعره أكثر حجاجية، ثمّ إنّ نسبية الحجاج ارتباطه بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التّداولية والاجتماعية هو من المبادئ الّتي تقوم عليها نظرية الحجاج [7].

التحليل الحجاجي للقصيدة

يقتضي أي تحليل خطابي الوقوف على معالم معينة قصد كشف العلاقات والروابط الّتي تحقق انسجام البنية الكلية للنّصّ، ومن بين هذه المعالم نجد العنوان والبنية الهيكلية للنّصّ أو القصيدة، هذه البنية الّتي تنضوي على آليات بلاغية وأخرى منطقية تحكم وتشد أجزاءها [8]، كالاستعارة والكناية والمجاز كآليات بلاغية تحقق الجانب الجمالي للنّصّ وآليات التكرار والتضاد كقوانين تربط الأفعال اللّغوية والأساليب الإنشائية، نحاول في هذا التحليل الوقوف على بعض هذه المعالم الموجودة في القصيدة الّتي بين أيدينا.

1/ دلالة العنوان

يتخذ العنوان بعداً دلاليا في القصيدة باعتباره البوابة الّتي يدخل من خلالها القارئ أو المتلقّي إلى عوالم الإيحاءات والإيماءات الدلالية،ونظراً لهذه الأهمية

الّتي يتخذها العنوان، فإنّ الدّراسات اللّسانية والسيميائية على مستوى التركيب والدلالة والتداول أولت أهمية كبرى لدراسته وتحليله من نواحيه التركيبة والدلالية والتداولية [9]. نظرا لما يقدمه هذا الأخير من "معونة كبرى لضبط انسجام النّصّ، وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الّذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الّذي يحدّد هوية القصيدة فهو –إن صحت المشابهة - بمثابة الرأس للجسد والأساس الّذي تُبنى عليه [10].

عنوان القصيدة الّتي بين أيدينا هي "حب الوطن" ،يشير الشّاعر من خلاله إلى مظاهر حب الوطن، وإلى النظرة المنفردة للوطنية في رأيه، حيث يقدّم لنا مظاهر حب الوطن من خلال رؤيته الشخصية وقناعاته الخاصة الّتي تبرر هذا الحب، فجعل قصيدته في شكل حوار مفترض، ينطلق في كلامه من واقع مرّ وأليم، حيث لا وجود للخبز والوقود، لا وجود للماء والسدود، لا وجود للحم والجلود، لا وجود للنقود في هذا الوطن الّذي يحبه ويعيش فيه.

فالوطن في نظر الشّاعر ليست الماديات الّتي سلبها اليهودي منه، وزعم أنّه صاحب وطن يوتوبي مفترض، إنّما الوطن للعربي الّذي يؤمن باسترداده في يوم من الأيام، فالوطن أبدا لن يكون لليهودي الّذي استنفذ كلّ خيراته، إنّما الوطن للعربي الّذي يعيش فيه محروما من كلّ خيراته، يتحقق مفهوم الوطن في نظر الشاعر من خلال التساؤلات الثلاثة (كيف،أين،فيمّ)، هذه الثلاثية الّتي انبت عليها القصيدة.

سُئل الشاعر: كيف تعيش؟ ← أعيش في حب الوطن.

أين تعيش؟ ← زمن راح، زمن أتي ليس له وجود.

فيمّ تعيش؟ ← من أجل التصدي والصمود .

ويصبح الوطن في نظر الشاعر يتكون من أقطاب ثلاثة:

الوطن ← وجود .... سواء مادي أو معنوي
الوطن ← زمن .... ماضي، حاضر، مستقبل
الوطن ← إيمان .... بتحقيق الحرية في يوم من الأيام

الوطن الّذي يحدثنا عنه الشّاعر هو وطنه المحتل، حيث القطب الأول أسقط منه الجانب المادي وأبقى على المعنوي، أمّا القطب الثاني الّذي هو الزمن فأسقط الماضي الّذي راح ولن يعود، وأسقط أيضا الحاضر باعتباره ليس له وجود،وسكت عن المستقبل الّذي يرجوا تحققه فعلا داخل دائرة الزمن الملموس ،باعتبار الماضي والحاضر- في رأيه- خارج الزمن، حيث الزمن الواقعي والحقيقي هو ما ينعم فيه بالحرية وعدا هذا الأمر فإنّه يعتبر نفسه خارجا عنه.

نستشق من خلال هذا البناء للقصيدة أنّ العلاقة الّتي تجمع بين العنوان والقصيدة هي علاقة العام بالخاص، علاقة الكلّ بالجزئيات المكوّنة له، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة بالترسيمية التالية:

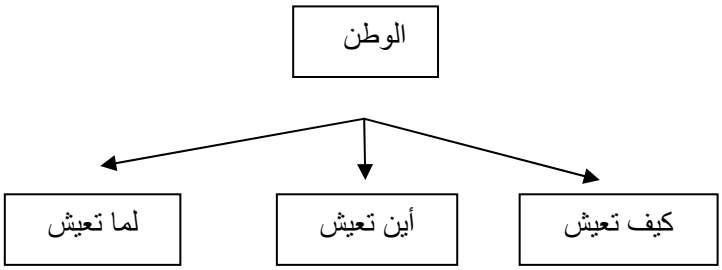

أمّا الطبيعة الحجاجية لعنوان القصيدة فتتمثل في كون الشّاعر يقدمه على أساس أنّه حجة تخدم نتيجة معينة،حيث نجده ضمنياً يقدّم لنا مفهوم اليهودي للوطن، من خلال نظرته هو للوطن، فإذا كان اليهودي يرى الوطن في أرض سلبها من أصحابها، وخيرات نهبها من مُلاكها، وتربة حقيقية شيّدها على جماجم أصحابها في زمن حقيقي سلبه من أصحابه، فإنّ الوطن في نظر

الشاعر إيمان بمجيئ حريته المغتصبة في يوم من الأيام، وأعتبر نفسه في انتظار مجيء اليوم الموعود خارج الزمن وخارج الحدود والأطر، وتعتبر القصيدة تفصيلا للعنوان من خلال ثلاثية "الوطن" (كيف –أين –فيمّ

2/ البنية الهيكلية للنّصّ

يأخذ محلّل الخطاب حين تقسيمه البنية الهيكلية للنّصّ في حسبانه عدّة اعتبارات منها القافية المشتركة، الأفعال اللّغوية الرئيسة كالأمر والنهي والسؤال، وعدد العلائق الحجاجية الّتي يتضمنها النّصّ مثل (كيف، أين، فيمّ)، وأشياء أخرى كالأوصاف والوضعيات الموجودة في النّصّ، والمعايير السيميولوجية المعروفة مثل البياض ونظام علامات الوقف، وعلى هذه الاعتبارات يمكن تقسيم القصيدة الّتي بين أيدينا إلى مقاطع أربعة موضحة كالآتي:

المقطع الأول	يبدأ "ماعندنا..... كيف تعيشون؟
المقطع الثاني	يبدأ "نعيش..... أين تعيشون؟
المقطع الثالث	يبدأ"نعيش..... فيمّ بقاؤكم؟
المقطع الرابع	يبدأ "بقاؤنا..... في مقلة الحسود؟

يدعم هذا التقسيم اعتبارات عدّة منها الحوار القائم بين الشّاعر والشّخص المحاور له سواء أ كان شخصية حقيقية أو مفترضة من نسج خيال الشاعر، .وتقنية السؤال والجواب الّتي تعتبر فعلا قوليا محققاً في النّصّ، ومن جهة الثانية القافية المشتركة في المقطع الأول الّتي أحدثت تناغما صوتيا أضفى على القصيدة جمالية إيقاعية، أمّا المقطع الثاني فقد وحدت أجزاءه آلية التكرار وأيضا المقطع الثالث، حيث أحدثت كلمة الوطن في المقطع الثاني وكلمة الزمن في المقطع الثالث انسجاما في بنية المقطعين، أمّا المقطع الرابع فقد حققت وحدته القافية المشتركة بين كلمتي "الصمود والحسود".

مجموع هذه المقاطع الأربعة هو ما يشكل نص القصيدة، نحاول دراسة البنية الداخلية للمقطع الشّعري ثمّ القصيدة بمجملها، حيث البنية النّصيّة تحكمها مجموعة من القوانين الداخلية، هي الّتي نحاول الوقوف عليها بالإضافة إلى القوانين الخارجية،حيث يبغي التحليل هنا الوقوف على مدى انسجام النّصّ وترابط عناصره،فالانسجام يعني أن النّص. مبينن بكيفية ما، ويحكمه منطق معين وأنّه ليس مجموعة من الجمل الّتي ضُم بعضها إلى بعض بكيفية اعتباطية وبدون أي نوع من أنواع الربط المعجمي والنحوي والتداولي [11]، وإلاّ قيل عن أسلوب القصيدة أنّه مجرد أسلوب مرمي على عواهنه.

ما دمنا في هذا التحليل نتغيَّ الوصول إلى الأبعاد الحجاجية في الشّعر المعاصر، فإنّ الانسجام النّصي الّذي نبحث عنه هو ذاك الانسجام الّذّي يخدم البعد الحجاجي أو مايمكن "أن ندعوه الانسجام الحجاجي" [12].

يلعب التركيب النّصي دوراً بارزاً في تحقيق انسجام النّصّ على مستوياته المختلفة الصوتي والمعجمي والإيقاعي والدلالي والتداولي،لذا فهو ينضوي على أدوات تضمن تلاحم أجزاء النصّ وترابطها، وتتمفصل هذه الأدوات إلى نحوية وأخرى تداولية حجاجية. أما النحوية فإنّها تتمثل في "الواو" و"الفاء" و"ثمّ" وغيرها، وهذه الروابط تضمن الانسجام النحوي بين المقاطع والأجزاء وبين الأجزاء فيما بينها والعنوان حتّى تتحقق البنية الكلية للنّصّ بشكل عام. أمّا الروابط التداولية والحجاجية نحو "بل" و"لكن" و"حتّى" وغيرها فإنّ من شأنها خدمة البعد الجاجي في النّص من خلال الاستنتاج والاستفسار وتقوية الحجة لخدمة النتيجة المرغوب فيها، وقد تكون الروابط الحجاجية ظاهرة للعيان وقد تكون مضمرة تستخلص من خلال قراءة النّصّ.

تعد "ما" من الروابط الحجاجية الّتي تحقق انسجام النّصّ و اتساق أجزائه وتلاحمها على المستوى التّداولي، وقد تحقق هذا الربط بالتحديد في المقطع

الأول، ولم يحدث تكرار الأداة "ما"مللاً عند القارئ، بل بالعكس أحدث تناغماً صوتيا جعل القارئ متعطشا إلى استزادة الشّاعر، بالإضافة إلى حرف "الواو" الّذي حقق الربط بين أجزاء هذا المقطع، ومن جهة ثانية حقق استقلاليته عن باقي الأجزاء، أمّا على مستوى نص القصيدة بشكل عام نجد الرابط "إذن" تكرر ثلاث مرات ليحقق الترابط بين قولين أو بين حجتين، أسند لكلّ قول دوراً محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة [13]. فإذا كان الرابطين الأولين، "الميم" و"الواو"حققا انسجاما على مستوى المقطع الأول، فإنّ الرابط الحجاجي "إذن" حقق الانسجام الكلي للقصيدة.

أمّا العلاقات الحجاجية الّتي تحكم بنية النّصّ فإنّها تأخذ مفهوماً شاملا وواسعا جداً ينضوي على عدد كبير من العلاقات الدلالية مثل العلية والشرط والاستنتاج وغيرها [14].

في النّصّ الّذي بين أيدينا نجد أنّ العلاقة الّتي تربط أجزاءه هي علاقة الاستنتاج والاستخلاص، بحيث ينطلق الشّاعر في وصف المأساة الّتي يعيشها، فيأتي السؤال المفترض والمتوقع والمستخلص (كيف) ثمّ ينفي وجود وطن حقيقي في الماضي والحاضر، فيأتي التساؤل (أين؟)، ثمّ يؤكد الشّاعر على انعدام وطن حقيقي يعيش فيه، فيأتي التساؤل (فيمّ؟) ويمكن تلخيص القصيدة في المعادلات الآتية:

ما عندنا ..... كيف نعيشون؟

ما عندنا..... أين نعيشون؟

ما عندنا ..... فيم بقاؤكم؟

يمكن الإشارة أيضا إلى ظاهرة لغوية أخرى لها دور هام في ضمان انسجام النّصّ وتوالده، وتتمثل في التعارض الحجاجي [15]، ونمثل له في هذه القصيدة بالحوار القائم بين الشّاعر والشخص المحَاور.

ماعندنا	كيف تعيشون؟	نعيش
" "	أين تعيشون؟	نعيش
" "	فيم بقاؤكم؟	من أجل

التعارض

إنّ هذا التعارض هو الّذي يمثل محور النّصّ، ويحقق آلية السؤال والجواب، ومن ثمّة فهو الّذي يرسم فضاء النّصّ العام، حيث ظلّ الشّاعر يقول ويفضي عمّا بداخله ويصف واقعة المرّ، ويفترض شخصاً يجيب عنه، وإن كان يغلب جانب الطرح والجواب عن جانب السؤال،.

لقد كان الشّاعر يعيش تمزقا نفسيا رهيباً فهو لا يملك أدنى مقومات المعيشة، ومع هذا فهو يعيش ويقتات من حب وطنه، الشّاعر ضيع وطنه واحتله بالأمس اليهود، ويحتله اليوم اليهود ومع هذا فإنّه يعيش خارج الزمن الماضي الّذي راح والحاضر الّذي ليس له وجود، أما المستقبل فتركه مضمراً ولم يحدثنا عنه، وإنّما أشار إليه من خلال إجابته عن التساؤل "فيمّ" فالتصدي والصمود هما عملاتا المستقبل الموعود، الّذي سيكون بإذن اللّه زمنه الّذي يعيش فيه، زمنه الحقيقي الّذي يحلم به، وفي هذا المقطع الأخير تتجسد قوة الحجاج وصلابتة من خلال إيمانه بمجيء الحرية، فحتّى يكون الحجاج أقوى والمشهد أكثر تأثيرا فإنّ الشاعر اختار بعناية تامة كلماته ومفرداته، فقال "نعطي التصدي حقنة وننعش الصمود لكي يظلا شوكة في مقلة الحسود"، فالتصدي والصمود هنا في نظر الشاعر دخلا مرحلة الاستشفاء والتّطبيب، وعليه أن يكون المشرف على رعايتها طبياً ليتمكنا من العيش والتعمير طويلا لتحقيق اليوم الموعود، وهو المستقبل المنتظر الّذي سكت عنه وتركه مضمراً ما بين أضلعه لكن تنهيهاته وآهاته وشت به على مستوى البنية النّصيّة.

3- الاستعارة الحجاجية

تعتبر الاستعارة من الوسائل اللّغوية الّتي تحقق الأبعاد الحجاجية في النّصوص والخطابات، وتعّد في المقام الأول من بين الوسائل البلاغية الأخرى انطلاقا من كون القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ماقورنت بالأقوال العادية [16] وقد اهتم النقاد المعاصرون بمدارسة حجاجية الاستعارة** لتبيان القوة الحجاجية الفاعلة الّتي تحدثها في النّصّ، وإذا ما عدنا إلى النّصّ الشعري الّذي نحن بصدد تحليله ودراسته، فإنّنا نجده يتضمن مجموعة من الاستعارات الحجاجية، نحاول الوقوف عليها واستجلاء أبعادها الحجاجية.

نعيش في حب الوطن

نعيش خارج الوطن

نعطي التصدي حقنة

ننعش الصمود

إنّ الاستعارات الموجودة بين أيدينا هي من النمط الحجاجي، بحيث ليست مقصودة لذاتها، بل إنّها مرتبطة بمقاصد الشّاعر وأهدافه الحجاجية، وهي تساهم بشكل كبير في تحقيق البعد الحجاجي في النّصّ، ففي المثال الأول نجد الشاّعر ينطلق من مأساة مرّة، بحيث لا وجود لأي شيء في وطنه، ورغم هذا فهو يعيش ويقتات من حب وطنه، فحب الوطن وحده هو من يمده بأوكسجين الحياة، وحب الوطن وحده هو الّذي جعله يعيش من دون وجود أي مقوّم حياتي (كالخبز، الماء، الوقود، اللحم... وغيرها)

فحب الوطن والإيمان به هو ما منحه القدرة على مزاولة الحياة رغم صعوباتها، أيضا عندما سُئل عن المكان الّذي يعيش فيه والزمن الّذي يعيش فيه، أجاب نعيش خارج الزمن، فالزمن الحقيقي أخذه اليهود بالأمس واليوم، ورغم هذا أوجد الشّاعر لنفسه مكانا خارج هذا الزمن فقط ليعيش من أجل

مهمة قهر العدو، وقد أجاب عن هذا من خلال التساؤل "فيمّ بقاؤكم"، فالغاية من العيش هي أن يعطي للتصدي حقنة، فالتصدي وحده هو أمل الشاعر لتحقيق أهدافه وأيضا الصمود، فالشاعر يعبر عن غايته من الحياة والعيش في إنعاش الصمود وإبقائه حيا ليتمكن من كسر شوكة العدو، أو بتعبير أخر حتّى يظل الصمود والتصدي شوكة مغروسة في مقلة الحسود الّذي هو العدو.

لقد كان لكلامه هذا من خلال هذه الاستعارات الموظفة قوّة حجاجية تبليغية للعدو قبل الصديق أنّ أرضه ووطنه سيعودان في يوم من الأيام إلى حوزته مهما طال عمر الاحتلال، وقد تعززت هذه القوة الحجاجية العالية أكثر في الاستعارتين الأخيرتين "نعطي التصدي حقنة" و"ننعش الصمود".

4- تقنية التكرار

تقنية التكرار من الآليات المعتمدة في تحقيق تلاحم أجزاء النّصّ، وتكرار الروابط الحجاجية أو مفردات بعينها تساهم في جعل النّصّ مترابط الأجزاء على المستوى البناء والتركيب وعلى مستوى التداول والدلالة وحتّى الحجاج، والتكرار هنا ليس ذلك المولد للرتابة والملل، أو المولد للهلهلة والخلل في البناء، ولكن التكرار المقصود هو ذلك الّذي يسمح بتوالد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام.

التكرار أو التكرير بتعبير القدماء* له وظائف خطابية عدّة، عُبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف توكيد الكلام والتشييد من أمره وتقرير المعنى وإثباته [17]، فهو يؤكد على غاية التوضيح وكشف المعنى وتوكيد الكلام، ومن ثمّة فهو من الآليات المعتمدة في تحقيق البعد الحجاجي للكلام، وليس التكرار محض وقوع للفظ في الكلام أكثر من مرّة، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مّرة، إنّما التكرار ما يقتضي من الكلام كأن يعاد اللفظ الأول مّرة

ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل [18] من هنا فالتكرار لا يؤتى به لذاته وإنّما لخدمة خاصية اتساق النّص وتوكيد معناه.

والتكرار يكون في اللفظ والمعنى معاً، وقد يكون في المعنى دون اللفظ [19] وقد يكون في الروابط الحجاجية والصيغ التركيبية، ومقاطع معينة من النّص أو تكرار مواقف محددة، أمّا فيما يخص النّصّ الّذي بين أيدينا فإنّ التكرار تمثل فيما يلي:

- في الروابط الحجاجية "ما" و"الواو" و"إذن"
- في ألفاظ بعينها مثل"وقود" "سدود" "جلود" "نقود"
- في مفردات معينة "الزمن" "الوطن"
- أفعال لغوية مثل التساؤل "كيف" "أين" "فيمّ"

إنّ تكرار الروابط الحجاجية وبالتالي العلاقات الحجاجية الناتجة عنها من شأنها المساهمة وبشكل كبير في تنامي النّصّ وتشظي دلالاته، فالعلاقات الحجاجية تقوم بينها علاقات تسلسل وترابط وفق مبدأ ارتباط السابق باللاحق، ثمّ إنّ العلاقة الحجاجية الجديدة تضيف عناصر حجاجية جديدة للعلاقة السابقة، في المقطع الأول تكرار الرابط "ما" يؤول بنا إلى التساؤل كيف، ثمّ الإجابة عن السؤال الأخير يفضي بنا إلى تساؤل جديد هو "أين" والإجابة أيضا عن هذا التساؤل تحيلنا إلى تساؤل جديد "فيمّ" ليكون النّصّ بهذه الشاكلة سلسلة من الأسئلة والأجوبة مرتبطة ببعضها البعض، وهذا التسلسل هو الّذي يحقق وحدة النّصّ، ومن ثم انسجام أجزائه ومقاطعه. وأيضا تكرار الرابط الحجاجي "إذن" يشكل محور بناء القصيدة من خلال ضمه لأجزئها الأربعة، وكان يسمح في كّل مّرة بإنشاء علاقة حجاجية جديدة، وبإضافة عناصر وأوصاف دلالية أخرى لنحصل في النهاية على صورة متكاملة لوضعية الشاعر إزاء وطنه.

أما تكرار كلمة الوطن في المقطع الثاني فقد جاءت لتأكيد معنى غياب الوطن الحقيقي، فالوطن الماضي أحتله اليهود، والوطن الباقي أيضا يحتله اليهود، وأيضا كلمة الزمن في المقطع الثالث جاءت لوصف الماضي الّذي راح، وتكررت لوصف الحاضر غير الموجود، في حين امتنع الشاعر عن التحدث عن المستقبل، وجاء بكلمة الصمود والتصدي اللتان سيعيش من أجلها لتحقيق المستقبل المرغوب الّذي هو النتيجة الّتي يبغي الوصول إليها بعد كلّ هذه الحجج المقدمة.

وعليه فالقانون الّذي يحكم بنية هذا النّصّ الموجود بين أيدينا هو قانون التكرار.

5- الحوار والحجاج

تتعدد الحوارات وتتمايز من الصريح إلى المضمر، ومن الأفقي إلى العمودي والنّصّ الّذي بين أيدينا أتى كلّه على شكل حوار صريح ومباشر بين الشّاعر والشخص المحاور له، ويتضح ذلك من خلال آلية السؤال والجواب والأفعال اللّغوية من استفهام وتفسير وتبرير، ويعتبر الحوار من أهم أشكال التفاعل اللفظي وهو المجال الطبيعي الّذي يقع فيه الحجاج والمناظرة بامتياز [20]، حيث الشاعر جعل يتحدث عن واقعه الّذي يعيش فيه،واقعه الّذي فقد فيه كل مقومات الحياة، فيأتي التساؤل في ظل هذا الواقع ب "كيف" فيجيب بأنّه رغم مرارة ما يعيش إلاّ أنّه يعيش، يعيش في حب الوطن، ثمّ يأتي التساؤل "أين تعيش" يجيب مستعملا حجة أخرى تمثلت في أن العيش ليس فقط داخل الزمن إنّما هناك عيش خارج الزمن، ثمّ يأتي التساؤل ما المغزى من العيش فيقوي الحجة أكثر، بأن العيش جاء من أجل التصدي والصمود لتحقيق وطن حقيقي وزمن حقيقي، حتّى يتمكن من استرداد كلّ ممتلكات وطنه ويعيش بأمان.

نلاحظ هنا أنّ الشاعر في كلّ مرّة يزيد في قوة حججه من خلال الطابع الحواري الّذي أخذه النّصّ، هذا الطابع الّذي أكسبه بعداً حجاجيا عالياً،

وجعلنا نتبين بوضوح الوظيفة الحجاجية والاقناعية الّتي هي إحدى وظائف النّصّ الشعري والنّصّ الأدبي بوجه عام [21]، فالحوار ساهم في تصاعد وتزايد وتيرة التحاج عند الشاعر، فكلما جاء سؤال إلاّ وقوبل بجواب يحمل حجة أقوى من سابقتها، ليحاول التمرد على الواقع الّذي يعيشه ويرسم لنفسه واقعا يرضاه ولو على مستوى أحلامه وتطلعاته.

6- البعد الحجاجي في القصيدة

بعد تحليلنا للقصيدة والوقوف على أهم معالم الحجاج فيها تبين لنا أن الحجاج كان ذا طابع مزدوجاً في هذا النّصّ ويمكن دراسته على مستويين:

- **المستوى الخارجي**

يشكل النّصّ في كليته حجة يقدمها الشاّعر لخدمة نتيجة يقصدها ويسعى إليها، وهي نتيجة قد تكون من نمط ضرورة نبذ الظلم ومحاربة الاستبداد، وهي رسالة أخرى من أجل ضرورة توجيه يد العون للمظلومين المستضعفين من بني البشر أينما كانوا، أو هي رسالة إلى الجهات المعنية إلى ضرورة العمل على تحقيق العدل والحرية والمساواة بين بني البشر وهي رسالة أيضا لتوحيد مفهوم الوطن والمواطنة، فليس كلّ من اغتصب أرضا تعتبر وطنه، فالّنصّ في هذا المستوى الخارجي يشكل أحد أطراف العلاقة الحجاجية في حين تشكل النتيجة المقصودة الطرف الثاني .

- **المستوى الداخلي**

يتعلق الأمر هنا بالحجاج الموجود داخل النّصّ، ويتمثل في كلّ مكونات النّصّ وأجزائه، بحيث نجده في العنوان والمعجم الشّعري والصور البلاغية والعلائق الحجاجية ويمكن تلخيص البعد الحجاجي في العلاقة الّتي أحدثها الرابط الحجاجي "إذن" والّتي شكّلت العمود الفقري للنّصّ وأيضا الحوار الّذي جسّد البعد الحجاجي بامتياز.

خلاصة لما قلنا فإنّ الحجاج على المستوى الخارجي للنّصّ تواجد في المقصدية الّتي انطلق منها الشاعر، ومقتضيات الحال الّتي يعيشها، والشروط التّواصلية والتفاعلية الّتي حاول استجلابها في المقام التخاطبي العام، أمّا على المستوى الداخلي فإنّه تجسّد في العنوان، والحوار، والمعجم المختار بعناية من لدّن الشاعر، والروابط الّتي استعان بها والاستعارات، والآليات البلاغية [2] [2] الأخرى الّتي لم نأت على ذكرها كلها، والأفعال اللّغوية والروابط والمبادئ الحجاجية الّتي بُثت في ثنايا النّص.

خاتمة:

حاولنا جاهدين في هذه الدّراسة تسليط الضوء على التحليل الحجاجي للنّصوص واستجلاء وكشف الوظيفة الإقناعية للنّصّ الشّعري، هذه الوظيفة الّتي كانت مناط شك عند بعض النقاد كما مرّ بنا ذكره، حيث الشّاعر لا يهدف البتة إلى الإخبار ولا يقصد تقديم معلومات للمتلقّي، وإنّما غرضه التأثير والإقناع، فالشّاعر وفي مثل هذه النّصوص يسعى إلى التأثير في متلقيه والدفع بهم إلى اتخاذ موقف ما من قضيته، الّتي شكّل موضوع القصيدة محورها العام.

الهوامش:

1- النّصّ الشعري المراد تحليله هنا هو قصيدة "حب الوطن" للشاعر العراقي أحمد مطر، وهو مأخوذ من مجموعة أشعار أحمد مطر، والنّصّ مثبت بأخر المقال في الملحق.

2- ينظر، أبو بكر العزاوي، "الحجاج والشعر" نحو تحليل حجاجي لنّصّ شعري معاصر، مجلة دراسات، الصادرة عن سال، المغرب، العدد السابع، 1992، ص99

3- المرجع نفسه، ص99

4- حازم القرطاجني، منهاج االبلغاء وسرج الأدباء، تقديم محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2.1981، ص62

*- الحيل غير اللّغوية هي تلك الآليات الّتي تُستجلب قصد الإقناع، وتتمثل في الشاهد والدليل والمبرر وتكون خارجة عن النّصّ.

5- ينظر: المرجع السابق، ص100
6- ينظر نفسه، ص100
7- نفسه، ص101
8- نفسه، ص101
9- نفسه، ص101
10- محمد مفتاح، دينامية النّصّ، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب1987، ص:72
11- المرجع السابق، ص:104
12- نفسه، ص 104
13- أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 1426، 2006، ص: 27
14- ينظر: المرجع السابق، ص: 105
15- ينظر نفسه، ص: 106
16- ينظر نفسه، ص: 106
**- نجد في هذا الصدد عمل طه عبد الرحمن الموسوم حجاجية الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه "اللسان والميزان أو التكزثر العقلي" ص: 304، وأيضا مقاله المعنون "الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج" ومقال ميشال لوغرن "الاستعارة والحجاج" تعريب الطاهر وعزيز، ومقال أبو بكر العزاوي "نحو مقاربة حجاجية للاستعارة "مجلة المناظرة، العدد 4، 1991، ينظر المرجع نفسه، ص106.
*- يستعمل ابن الأثير ضياء الدين لفظ التكرير ويريد به التكرار ويضعها مرادفة للترديد والترداد، ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3/ص20.
17- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط2، 1973، ط2، ج9، ص17
18- ينظر، محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، ص232.
19- ينظر المصدر السابق ج3/ ص3.
20- ينظر، أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر، ص:110
21- ينظر المرجع نفسه، ص:110
22- ينظر نفسه، ص114

المصادر والمراجع المعتمدة:

1/ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تقديم أحمد حوفي وبدوي طبانه، دار النهضة، مصر، ط2، 1973.

2/حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981 .

3/محمد مفتاح دينامية النّصّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987

4/أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006–1424

5/طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ط1، 1998 .

6/محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، ط1، 2005/1426.

7/ أبوبكر العزاوي، الحجاج والشعر "نحو تحليل حجاجي لنص شعري" مجلة دراسات الصادرة عن سال، المغرب، العدد7 1992.

ملحق:

ما عندنا خبز ولا وقود
ما عندنا ماء .. ولا سدود
ما عندنا لحم .. ولا جلود
ما عندنا نقود
كيف تعيشون إذن؟ !
نعيش في حب الوطن !
الوطن الماضي الذي يحتله اليهود
والوطن الباقي الذي
يحتله اليهود
أين تعيشون إذن؟ !

نعيش خارج الزمن
الزمن الماضي الذي راح
ولن يعود
والزمن الآتي الذي
ليس له وجود
فيم بقاؤكم إذن؟
بقاؤنا من أجل أن نعطي التصدي حقنة
وننعش الصمود لكي يظلا شوكة
في مقلة الحسود

عن ديوان الشاعر أحمد مطر